وقفات نقديّة وأسلوبيَّة في شعر الهداية في عصر صدر الإسلام

الدكتور
عماد خليفة سلمان

الدكتوره
شيماء صباح عبدال

Critical and stylistic Posture in guidance poetry in the era of Islam

Dr.
Imad Khalifa Sulaiman

Dr.
Shaima Sabah Abdal

ملخص البحث

فإنَّ أثر الإسلام في الأدب العربيِّ وفي شؤون الحياة كافَّة ونواحيها أمر بيِّن لا يحتاج فيه إلى بذل جهد كبير، أو اتيان ببراهين عديدة، فيكفي أنَّه يعدُّ الحدُّ الفاصل بين مرحلتين من حياة الأمَّة يمثِّلان ماضي الأمَّة من جهة وحاضرها ومستقبلها من جهة أخرى، فالإسلام هو الفيصل بين عصر الجاهليَّة، والعصور الإسلاميَّة بتنوُّعها وامتدادها إلى يومنا هذا وإلى ما يشاء الله، وإنَّ من أثر الإسلام في الأدب العربيِّ عامَّة والشعر خاصَّة أن ظهرت أغراض جديدة لم يعرفها أهل الجاهليَّة من قبل، ومن هذه الأغراض شعر الهداية، وعند قراءتنا لهذا الشعر وجدناه مادَّة أدبيَّة غنيَّة بالظواهر النقديَّة، فقدَّمنا هذا البحث في نقد هذا الغرض الشعري، وأسميناه بـــ" لمسات نقديَّة وأسلوبيَّة في شعر الهداية في عصر صدر الإسلام"

Abstract

The impact of Islam in the Arabic literature and in the affairs of life and its aspects is a matter which does not require a great effort ،Or bring many proofs . it is enough to be the boundary between the two stages of the life of the national the past of the nation on one hand and from the present and the future on the other hand, Islam is the difference between the era of pre Islam. And the Islamic ages in their diversity and extension to this day and to what God wills. And that the impact of Islam in the Arabic literature in general and poetry, especially that the emergence of new purposes did not know the people of ignorance before، One of these purposes poetry guidance ،Through our reading to this poetry we found it a literary material rich in monetary phenomena. So We presented this research in criticism of this poetic purpose and we called it (Critical and stylistic touches in the poetry of guidance in the era of Islam)

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين الذي جعل الدين عنده الإسلام فأتمَّه لعباده وأتمَّ عليهم به النعمة، ورضيه لهم دينا، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد خير الخلق وسيِّد الأوَّلين والآخرين المبعوث رحمة للعالمين الذي دعا إلى ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتَّى أتاه اليقين من ربِّه ونصح الأمَّة وكشف الله به الغمَّة فصلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّ أثر الإسلام في الأدب العربيِّ وفي شؤون الحياة كافَّة ونواحيها أمر بيِّن لا يحتاج فيه إلى بذل جهد كبير، أو اتيان ببراهين عديدة، فيكفي أنَّه يعدُّ الحدُّ الفاصل بين مرحلتين من حياة الأمَّة يمثِّلان ماضي الأمَّة من جهة وحاضرها ومستقبلها من جهة أخرى، فالإسلام هو الفيصل بين عصر الجاهليَّة، والعصور الإسلاميَّة بتنوُّعها وامتدادها إلى يومنا هذا وإلى ما يشاء الله، وإنَّ من أثر الإسلام في الأدب العربيِّ عامَّة والشعر خاصَّة أن ظهرت أغراض جديدة لم يعرفها أهل الجاهليَّة من قبل، ومن هذه الأغراض **شعر الهداية**، وعند قراءتنا لهذا الشعر وجدناه مادَّة أدبيَّة غنيَّة بالظواهر النقديَّة، فقدَّمنا هذا البحث في نقد هذا الغرض الشعري، وأسميناه بـــ "**لمسات نقديَّة وأسلوبيَّة في شعر الهداية في عصر صدر الإسلام**" ومن الأهداف التي توخَّاها هذا البحث:

١- إبراز أهمّ السمات النقديَّة لشعر الهداية.

٢- إبراز جوانب الإبداع من خلال ظهور لون جديد من الشعر له خصائصه ومزاياه الفنِّيَّة والنقديَّة، ممّا يدفع تهمة الضعف عن شعر صدر الإسلام.

وقد جاء هذا البحث ليضاف إلى مكتبة الأدب العربيّ الغنيَّة في عصر صدر الإسلام. هذا العصر الذي لم يعط القدر الذي يستحقَّه في الدراسة والبحث، ولا ندَّعي أنَّنا أوَّل من خاض غمار البحث في شعر هذه الحقبة، ولكنَّه جزء من جهود كثيرة بذلها العلماء والباحثون قديما وحديثا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مدخل ومبحثين في كلٍّ مبحث مطلبان، ثمَّ خاتمة أوجزنا فيها أهمَّ نتائج البحث والتوصيات، وهي مفصَّلة كالآتي:

مدخل: تناولنا فيه معنى الهداية والمقصود من شعر الهداية.

المبحث الأوَّل: الصدق والواقعيَّة، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: الصدق.

المطلب الثاني: الواقعيَّة.

المبحث الثاني: السهولة وقرب المأخذ، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: السهولة.

المطلب الثاني: قرب المأخذ.

وبهذا تمّت مباحث البحث فختمناه بخاتمة أوجزنا فيها أهمّ ما توصلنا إليه من النتائج، والتوصيات في دراستنا هذه.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله علما نافعا، وأن يوفّقنا فيه ويعيننا على إتمامه على وجه الذي يليق بدراسة شعر أكرم الناس وأفضلهم بعد النبيِّين إنَّهم الرعيل الأوَّل من المؤمنين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين. فهو سبحانه خير مسؤول، وخير معين، وما بلغنا الذي بلغنا إلا بفضله، وإحسانه، وجوده، ومنِّه، وكرمه: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾ فله النعمة وله الفضل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباحثان

مدخل

قبل أن نخوض غمار البحث في الوقفات النقديَّة والأسلوبيَّة في شعر الهداية في عصر صدر الإسلام أردنا أن نبيِّن معنى الهداية، والمعنى الذي اطلقناه على هذا الغرض الشعريّ – شعر الهداية – فلفظ الهداية مصدر يقال: هداه فِي الدين يهديه هدى وهداية، وهو يعني: الإرشادُ والدَّلَالَةُ فهي ضِدُّ الضَّلَال، أو التقدّم ومنه هوادِ الخيل لتقدمها [1].

وهو ما أردناه تماما في اصطلاح "شعر الهداية" فإنَّنا أردنا الشعر الذي قاله أصحابه في وصف هدايتهم إلى الحقِّ ودخولهم في دين الله الذي ارتضاه لعباده وهو الإسلام، بعد أن كانوا في ضلالة الكفر والشرك والجهل وتبديل الدين الحقِّ مقلِّدين آباءهم في ذلك الضلال، فجاء تحوُّلهم هذا وهدايتهم إلى دين الله مصوَّرا بأشعار صادقة خالدة لا يبليها تعاقب الدهور، وتتابع العصور لتبقى شاهدا حيًّا ناطقا على بزوغ نور الإسلام، وهداية الذين اصطفاهم الله ممَّن ظهر فيهم خاتم النبيِّين وسيِّد المرسلين ورسول ربِّ العالمين إلى الإنس والجنِّ أجمعين صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

وقد ازدان هذا الشعر على قلَّته بظواهر نقديَّة وأسلوبيَّة جديرة بأن يوقف عندها، ويجال في فضائها، لإظهار مواطن الإبداع وأسرار الجمال، والأحكام النقديَّة في هذا الشعر الذي لم يجمع من قبل، فضلا عن أن يدرس، وهو شعر جدير بأن يعطى مساحة أكبر في الدراسة والبحث، لما له من مزايا خاصَّة، ولما فيه من جمال وإبداع، وهذا ما سنتناوله بإذن الله في بحثنا هذا، الذي نأمل ان يكون فاتحة لبحوث أخرى تتعلَّق بهذا الشعر؛ لتأخذ نصيبا أكثر في الدراسة والبحث.

المبحث الأوَّل
الصدق والواقعيَّة

اتَّجه الأدب في عصر صدر الإسلام باتِّجاه الالتزام بالقيم الإنسانيَّة حاله حال جميع النواحي، لكي يكون النتاج الأدبيّ معمِّقًا للإحساس والقناعة فلا بدَّ لأسلوبه من الابتعاد عن التزييف والغلوِّ في الوصف، وقد صدر هذا الصدق عن نفوس قد خالطت بشاشة الإيمان قلوبها، واستقرَّ الإسلام في كوامن جوارحها، فأنطقهم هذا بشعر ينبع من القلب، ومن أعماق النفس، ليس فيه مجال للمبالغة، والزيادة أو النقص، أو الخروج عن الواقع؛ لذلك كان من

أهمِّ ميِّزات هذا الشعر الصدق والوافعيَّة، وهذا ما سنتناوله في مطلبي هذا المبحث بإذن الله تعالى:

المطلب الأوَل: الصدق

جاء شعر الهداية في عصر صدر الإسلام صادقا بعيدا عن الكذب، وهذا سرُّ ديمومته وبقائه، فكلَّما كان الأدب صادقا كان أكثر تأثيرا وبقاءً، ومن ذلك ما قاله رجل من هَوَازِنَ، يَذْكُرُ مَسِيرَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ بَعْدَ إِسْلَامِهِ [٢]:

فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُ الْغَسَقُ
ثُمَّتَ نُزِّلَ جِبْرِيلُ بِنَصْرِهِمْ مِنْ السَّمَاءِ فَمَهْزُومٌ وَمُعْتَنَقُ
مِنَّا وَلَوْ غَيْرُ جِبْرِيلِ يُقَاتِلُنَا لَمَنَّعَتْنَا إِذَنْ أَسْيَافُنَا الْعُتُقُ [٣]

فإنَّه وصف الحادثة من دون تصنُّع أو تكلُّف، فوصف شجاعتهم وشدَّتهم في الحرب، ثمَّ كيف أنَّ الله قد هداهم للإسلام، ولولا أنَّ المؤمنين أيَّدهم الله بجبريل والملائكة، لما استطاعوا التغلُّب عليهم، فجمع في قصيدته هذه بين الروح الجاهليَّة، والروح الإسلاميَّة.

ويمكن القول أنَّ فطرة الشاعر وبساطته هما أبرز عوامل صدقه، فهو يبتعد عن التهويل والمبالغة المفرطة والغلوِّ بعد أن شرح الله صدره للإسلام الذي يحرِّم الكذب وينهى عنه، ويحثُّ على الصدق في كلِّ جوانب الحياة، فجاء أثر هذا التشريع واضحا في أدب الشاعر المسلم وشعره.

ومن ذلك قول حسان بن ثابت رضي الله عنه [٤]: الطويل

شَهِدتُ بِإِذنِ اللهِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسولُ الَّذي فَوقَ السَماواتِ مِن عَلُ
وَأَنَّ أَبا يَحيى وَيَحيى كِلَيهِما لَهُ عَمَلٌ في دينِهِ مُتَقَبَّلُ

فما كان من صدق حسان بن ثابت رضي الله عنه إلا أن يعبِّر عن إيمانه ليس فقط بالرسول الكريم سيِّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، بل بجميع الأنبياء _ زكريا، ويحيى، وعيسى، وهود عليهم الصلاة والسلام – فمن واجبات المؤمن الإيمان بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال الله سبحانه وتعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ مَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)[٥]، فالصدق يجعل الشاعر ذو نظرة شاملة ليس للعصر الذي يعيش فيه فحسب، وإنَّما للحاضر والماضي.

وأنَّ صدق الشاعر في هذا الغرض الشعريِّ لا تعني خلوِّه من جماليَّات الشعر ومحسِّناته، وما يتطلَّبه الشعر من قوَّة العبارة، وجودة السبك وحسن الصياغة، والمبالغة في حدود المعقول، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه [٦]: الكامل

في كُلِّ مُعتَرَكٍ تُطيرُ سُيوفُنا فيهِ الجَماجِمَ عَن فِراخِ الهامِ
نَحنُ الخِيارُ مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّها وَنِظامُها وَزِمامُ كُلِّ زِمامِ
الخائِضو غَمَراتِ كُلِّ مَنِيَّةٍ وَالضامِنونَ حَوادِثَ الأَيّامِ
وَالمُبرِمونَ قُوى الأُمورِ بِعِزِّهِم وَالناقِضونَ مَرائِرَ الأَقوامِ

لقد رسم حسان بن ثابت رضي الله عنه ملامح هذه الصفات التي كوَّنت صورة الصدق في شعره، فراح يصف شجاعة قومه وبأسهم في ساحات القتال، وهم لا يهابون الموت ولا يخشونه، كما أخبر الناس (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) [٧] وهم النظام الذي يجمع الناس والزمام الذي يقودهم، لا يهابون الموت ولا يتوانون عن ملاقاة عدوِّهم، بل يخوضون غمرات كلِّ منيَّة، وهم الذين يبرمون الأمور العظيمة، وينقضون ما أرادوا نقضه.

ففي عصر صدر الإسلام تغيَّر مفهوم هذه الصفة – الصدق – فأصبح أكثر وضوحا وعمقا وشمولا؛ فصفة الصدق قد أصبحت صفة ملازمة لجميع شعراء هذا العصر بحكم إيمانهم بما جاء به الرسول الكريم سيِّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، وملازمتهم له عليه الصلاة والسلام وهو الذي عرف بالصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم.

المطلب الثاني: الواقعيَّة

تعدُّ الواقعيَّة التحام صميم بالواقع، ونظرة عميقة إلى بواعثه وظواهره جميعا؛ لذلك يمكن القول: إنَّ الواقعيَّة تلحظ الأدب لحظا شاملا، وتعبِّر عن طواياه وزواياه [٨]، وتؤكِّد على عناية الأدب بواقع الحياة وانسجامه معه يتولَّد عنه من دون أدنى شكٍّ أدب صادق ومتين ورائع يُعنَى بالناس، فيكون من السهل أن يصل إلى قلب المتلقِّي؛ لأنَّه جاء ملامسا لحياته وواقعه الذي يعيشه، على أنَّنا لا نريد بالواقعية هنا الواقعية المتعارف عليها في المذاهب الفنية الغربية، من أنَّ الواقعيَّة تعني: مذهب أدبيًّا نشأ في فرنسا أواسط القرن التاسع عشر يرتكز على قاعدة الفنُّ للفنِّ، ويصبُّ من خلاله اهتمامه على الشكل والموضوعيَّة، والتخلُّص من الذاتيَّة،

والعاطفة الطاغية، واستعمال الأدب في السياسة [٩]، فمفهوم الغربيِّين هذا يحصر واقع الإنسان في حيّز ضيّق محدود، وتنسى الواقع الإنساني الكبير الذي يشمل حياة الإنسان كلها طولاً وعرضًا وعمقًا، وزمانًا ومكانًا، وإنَما نقصد بالواقعيَّة في شعر الهداية: أنَّها تصوِّر واقع حياتهم وشعورهم، وتنقل لنا تجربتهم في حالة الجاهليَّة والكفر، ثمَّ تحوُّلهم إلى الإسلام، وتوحيد الله سبحانه وتعالى، والكفر بكلِّ ما يعبد من دون الله عزَّ وجلَّ وعلا، فالأدب الإسلامي في واقعيته يرسم ما في الفرد من نقائص وعيوب وضعف وخسّة وهبوط؛ ولكن على أساس أنها شرٌّ، وعلى أنها نقائص، لا على أساس أنها واقع وضربة لازب لا محيد عنها، ولا أمل في الفكاك منها، أو الارتفاع عليها، فبرزت شخصيَّة الشعراء من خلال ذلك بروزا جليًّا حتَّى كأنَّه بعد الأربعة عشر قرنا المنصرمة يتكلَّم الآن عن نفسه وواقعه، فأفصحت أشعاره عن جميع المواقف والأحداث المهمَّة [١٠]، فيما يتعلَّق بمواقف خاصَّة، أو عامَّة، ومن ذلك قول حسان بن ثابت رضي الله عنه [١١]: الطويل

ثَوى فِي قُرَيْش بِضعَ عَشرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَو يَلقى خَليلاً مُؤاتِيا [١٢]
فَلَمّا أَتانا وَاِطمَأَنَّت بِهِ النَوى فَأَصبَحَ مَسروراً بِطَيبَةَ راضِيا
بَذَلنا لَهُ الأَموالَ مِن جُلِّ مالِنا وَأَنفُسَنا عِندَ الوَغى وَالتآسِيا

فاستطاع حسان بن ثابت رضي الله عنه أن يرسم لنا صورة واقعيَّة عن حالهم بعد هجرة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم وتشرُّفهم بنصرته عليه الصلاة والسلام؛ وقد اطمأنَّت عقولهم وقلوبهم، فما كان منهم إلا أن يبذلوا كلَّ غال ونفيس إذا مسَّه عليه الصلاة والسلام ضرٌّ أو سوء.

وقد صوَّر لنا الواقع الذي مرَّت به الدعوة، وما لاقاه رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله سلَّم ونقله لنا بدقَّة وأمانة، لم يؤثِّر في نقله هذا متطلَّبات الشاعر الفنِّيَّة من المبالغة، والاستعارة وغيرها؛ لأنَّ غرض هذا الصنف من الأشعار لا يحتاجها بقدر ما يحتاج إلى نقل الواقع وتصويره بأمانة ودقَّة متناهية.

وكذلك قول أبي قيس صِرْمَةُ بن أبي أنس رضي الله عنه: [١٣] الطويل

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ أَفْضَلُ هَادِيَا [١٤]
أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتُ أَرْضًا مَخُوفَةً حَنَانَيْكَ لَا تُظْهِرْ عَلَيَّ الْأَعَادِيَا [١٥]

تلك هي واقعيَّة المشاعر في رسم الصورة الإيمانيَّة التي آمن بها الشاعر، فهو مقرٌّ ومؤمن بربوبيَّة الله وأنَّه وحده المستحقُّ للعبادة، فلا شريك له في عبادته كما لا شريك له في ربوبيَّته وملكه، وأنَّ الله سبحانه وتعالى أفضل هادٍ، وهو المنقذ والملاذ لمن انقطعت به السبل، ومن لم يتمسَّك بالله فهو ضياع وضلال.

وأمَّا حسان بن ثابت رضي الله عنه فيقول عن واقعهم بعد مبعث الرسول صلَّى الله عليه وعلى أله وسلَّم [١٦]: الطويل

نَبِيٌّ أتانا بعدَ يأسٍ وَفَترَةٍ ... منَ الرسْل والأوثانِ في الأرضِ تُعبَدُ
فَأَمْسَى سِرَجًا مُسْتَنِيْرًا وَهَاديًا ... يَلُوْحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيْلُ الْمُهَنَّدُ
وَأَنْذَرَنَا نَارًا وَبَشَّرَ جَنَّةً ... وَعَلَّمَنَا الإسْلامَ فَاللهَ نَحْمَدُ

فواقع الشخص المسلم أن يؤمن بنبيّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الذي بعثه الله بعد انقطاع من الرسالات لينقذ الناس من حالة الجهل والضلال والبعد عن الدين الحقِّ، ثمَّ يستمرُّ بمدح الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ويبيِّن منزلته، ثمَّ يستبشر بالخير وهو ما وعد الله به عباده المؤمنين الموحِّدين من ثواب ونعيم في الجنان خالدين فيها وقد جاء هذا الوعد الربَّاني في آيات كثيرة منها قول الله سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خالِدِينَ فِيها أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) [١٧]، ويعود بعد ذلك ليبتهل إلى الله فعبَّر بذلك عن واقع عاشه هو، وعاشه جميع المؤمنين الذين كانوا في زمنه فقال رضي الله عنه بعد ذلك [١٨]: الطويل

وَأَنْتَ إِلهَ الْخَلْقِ رَبِّيْ وَخَالِقِ ... بِذَلِكَ مَا عَمَّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلِ مَنْ دَعَا ... سِوَاكَ إِلهًا أَنْتَ أَعْلى وَأَمْجَدُ
لَكَ الْخَلْقُ وَالنَّعْمَاءُ والأَمْرُ كُلُّهُ ... فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِيْ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

فإنَه يبتهل إلى الله مناجيًا ومؤمنا يعلن شهادته بـ" أن لا إله إلا الله " وأنَّه يشهد بذلك ما بقي حيًّا بين الناس، فتعالى الله من أن يكون له شريك كما كان الكفَّار يظنُّون، فالله أعلى وأمجد من أن يتَخذ شريكا، فله الخلق كلَّه والأمر كلُّه، والنعماء كلُّها، وبيده ملك كلِّ شيء،

لذلك ابتهل إليه بطلب الهداية وخصَّه بالعبادة متأثِّرا بذلك بالقرآن الكريم في قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ) (١٩).

وأمَّا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فراح يحصي فضائل الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ومناقبه فقال حِينَ أَسْلَمَ (٢٠):

مَا إنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدِ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إذَا اُجْتُدِيَ ... وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ أَنْيَابُهَا ... بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ (٢١)
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ ... وَسْطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ (٢٢)

فإنَّه عن حقيقة عاشها وتجربة مرَّ بها كغيره ممَّن رأوا أو سمعوا برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بأنَّه ما رأى ولا سمع بمثله عليه الصلاة والسلام، فهو الشجاع القويّ الذي إذا ما حمي الوطيس، وحانت ساعة الوغى، واشتدَّ وقع المعركة، وهذا لم يأت به الشاعر من نسج الخيال، وليس من ضروب المبالغات التي يزيِّن بها الشعراء مدائحهم، بل هو حقيقة رآها الشاعر عيانا، فصوَّرها لنا بهذا الشعر الجميل.

المبحث الثاني
اللغة الشعريَّة

لا بدَّ للغة الشعريَّة أن تكون واضحة سهلة لتصل إلى المتلقِّي بسلاسة دون عناء أو تعقيد، فكلَّما كان سهلا واضحا كان الشعر أقرب إلى سمع المتلقِّي وقلبه، وهو شرط مهمٌّ من شروط نجاح المبدع عامَّة والشاعر خاصَّة، وأهمُّ ما تتمثَّل به اللغة الشعريَّة هو دقَة العبارة ووضوح ألفاظها، وسهولة اللفظ، وسلامة العبارة، وهنا لا تصبح الكلمات خدما للمعاني بل خادمة نفسها، فإنَّ وظيفة اللغة لا تقتصر على الحاجة لتوصيل الفكر، بل إنَّها فضلا عن ذلك تشكِّل مادَّة فنِّيَّة وزينة في اللفظ، وجمالا في الأسلوب، فهي أداة لتوصيل المعنى، ومادَّة جماليَّة وإبداعيَّة في الوقت نفسه، وهذا ما نجده واضحا في شعر الهداية في عصر صدر الإسلام، وسنتناول ذلك فيما يأتي بإذن الله تعالى:

المطلب الأوَّل: دقَّة العبارة ووضوح ألفاظها

إنَّ دقَّة العبارة ووضوحها ميزة من أهمِّ ميزات اللغة الشعريَّة؛ إذ إنَّ العبارة تتكفل بنقل الأفكار التي عثر عليها في الإيجاد والمرتبة في نص أو خطاب إلى الصياغة اللغوية أو

اللفظية، أو ما يسمِّيه أحيانا بعض البلاغيين بين الإيجاد والعبارة، وهو سلامتها من التعقيد والغموض وغيرهما، واتسامها بالوضوح، فلا بدَّ للشاعر أن يكون دقيقا في عباراته، واضحا في انتقاء ألفاظه وتعابيره اللغويَّة، الأمر الذي يتطلَّب من المبدع ثروة لغويَّة، وقدرة على التصرُّف في التراكيب والعبارات لتلائم أفكاره، وطريقته في الإبداع، فلا يستسيغ إيراد كلمة أو جملة تبعث على اللبس أو الإيهام أو الاشتراك، ولا يُشعر المتلقِّين بأنَّ عباراته بحاجة إلى أن يستوضح في فهمها [٢٣]، بل إنَّها راسخة المعنى ثابتة الدلالة لما في عبارتها من دقَّة وفي ألفاظها من وضوح، كما في قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى رضي الله عنه عند هدايته للإسْلَامَ [٢٤]:

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنا بور [٢٥]
إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سُنَنِ الْغَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ [٢٦]
آمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنَّنِي عَنْكَ زَاجِرٌ ثَمَّ حَيًّا مِنْ لُؤَيٍّ وَكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

فقد استعمل ألفاظا واضحة، لا يجد المتلقِّي صعوبة أو غموضا أو إيهام في ألفاظه، بل كان الشاعر ملمًّا بما يريد أداءه مستعملا ألفاظا إسلاميَّة جديدة، وهي نتيجة لأثر الإسلام في نفسيَّة الشاعر وأدبه، ومن هذه الألفاظ: "رسول، والمليك، وآمن، والشهيد، والنذير، والشيطان، والغيّ"، فاستطاع أن يعبِّر عن ندمه الكبير على ما كان منه قبل أن يدخل الإيمان إلى قلبه، فإذا هو هنا يعبِّر عن إيمانه بما جاء به النبيُّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم من دين الإسلام بأسلوب جميل ودقيق، موازنا بين صورتين: صورة الصراع مع الشيطان وصورة الإيمان العميق الذي شمل اللحم والعظم والقلب وكلَّ كيانه روحا وجسدا.

وتقوم دقَّة العبارة ووضوحها على لغة الكاتب وكلماته المفردة التي يؤثرها؛ لأنَّها أدلّ من غيرها على ما يريد، فإن عرض للشاعر عبارة يصحبها شيء من الغموض أو عدم الدقَّة بأنْ « لا يدلُّ التركيب على معنى معيَّن » [٢٧]، فإنَّه سيتعرَّض للنقد ويقوَّم ذلك اللفظ كما روى بعض أصحاب السير أنَّ كعب بن زهير بن أبي سُلمى رضي الله عنه عندما قال[٢٨]:البسيط

إنَّ الرسولَ لَسَيْفٌ يُستضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ من سيوفِ الهندِ مَسلُولُ

قال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (من سيوف الله) [٢٩] فغيَّرها الشاعر إلى هذا اللفظ لما له من دقَّة في الدلالة على المعنى المراد، وإن صحَّت هذه الرواية فإنَّنا نلمح من

خلال هذا النقد النبوي ما انطوى عليه من تعديل وجّه كعبا إليه، حيث الرأي الصائب والقول السديد، وهو أن سيوف الله هي التي لا تفل، ولا تنبو ظباتها، ولا تحيد عن مواطن الحق، أما غيرها من السيوف فهي تفل وتنبو وتتلثم، وهذا معنى إسلامي جميل، فشتَّان بين سيف الهند وسيف الله [٣٠].

ولتحقيق الوضوح والدقَّة لابدَّ للشاعر من « اختيار الكلمات المعيَّنة غير المشتركة بين المعاني، والتي تدلُّ على الفكرة كاملة، وذلك يدعو إلى ملاحظة هذه الفروق الدقيقة بين ما تسمَّى المترادفات حتَّى لا يصير المعنى ذاهب المعالم » [٣١]، كما في قول النابغة الجعدي رضي الله عنه وقد أنشد بين يدي رسول الله ﷺ قصيدة قال فيها [٣٢]: الطويل

بَلَغْنا السَّماءَ مَجْدَنا وَجُدُوْدَنا وَإِنَّا لَنَرْجُوْ فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال النبي ﷺ : (أين المظهر يا أبا ليلى) ، وفي لفظ: فقال : (إلى أين ؟ لا أُمّ لك) فقال: الجنة، فقال النبي ﷺ (أجل إنشاء الله) [٣٣]، فالشاعر جاء بلفظ لم يتَّضح معناه، وقد يحمل على أكثر من معنى، فاستبينه النبي ﷺ ليظهر للسامعين المعنى الذي أراده الشاعر.

فالدقَّة في اختيار الألفاظ أهمَّ عناصر اللغة الشعريَّة، وممَّا لا ينبغي للشاعر أن يغفل عنه البتَّة؛ لأنَّ اللفظ هو اللبنة الأولى في البناء اللغويِّ، وإن لم يلتفت إلى دقَّة اختياره، ووضع اللفظ المناسب في التركيب المناسب وقع الشاعر أو المبدع في إشكاليَّة فساد التعبير، وسوء النظم، ولم يبلغ مراده من شعره، بل ربما جاء شعره على خلاف مراده.

المطلب الثاني: سهولة اللفظ وجمال التعبير:

من متطلَّبات اللغة الشعريَّة الجيِّدة اختيار الألفاظ السهلة والتعبير الجميل، فينتقل المبدع باللغة من مهمة الامتثال لقواعدها اللغوية وقيود المناسبة المقامية إلى الاستسلام لنداء الوظيفة الجمالية، التي يمكن أن تتنكر للقيدين اللغويِّ والمقاميِّ، فينتج من خلال تلازما بين نظام اللغة والجمال الفنِّيّ والإبداعيّ، وهو ما يظهر براعة الشاعر وإجادته، ومقدرته اللغويَّة والفنِّيَّة على حدٍّ سواء، وسنتناول ذلك فيما يأتي من فقرتي هذا المطلب بإذن الله تعالى:

أوَّلا: سهولة اللفظ:

إنَّ من متطلَّبات اللغة الشعريَّة الجيِّدة أن يتَّسم الشعر بوضوح الفكرة والسهولة والبساطة: سواء في الألفاظ المفردة أم في التراكيب فيجب أن يكون واضحا سهلا سلسا لا تعقيد فيه ولا غموض ولا جريا وراء الحوشي أو الشاذِّ وإنما الكلام بقدر المعنى على جانب

كبير من الوضوح الأمر الذي يجعله معلوما مفهوما لدى الجميع، ونجد هذا جليًّا في شعر الهداية في عصر صدر الإسلام، كما في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه [٣٤]: الطويل

أولَئِكَ قَومي خَيرُ قَومٍ بِأَسرِهِم وَلَيسَ عَلى مَعروفِهِم أَبَداً قُفلُ
وَقائِلُهُم بِالحَقِّ أَوَّلَ قائِلٍ فَحُكمُهُمُ عَدلٌ وَقَولُهُمُ فَصلُ
إِذا حارَبوا أَو سالَموا لَم يُشَبِّهوا فَحَربُهُمُ خَوفٌ وَسِلمُهُمُ سَهلُ

فهو يبيِّن صفات قومه ومحاسنهم، فهم خير قوم، وهم أوَّل الناس في قول الحقِّ، وأعدل الناس في الحكم، وقولهم هو أفصل القول بين أقاويل الناس، لا يشبههم أحد من الناس في السلم كما لا يشبههم أحد في الحرب، وفي كلٍّ هذا نجد الشاعر قد عمد إلى اختيار اللفظ السهل السلس الواضح الذي لا لبس فيه، ولا تعقيد، مع جزالة لغته الشعريَّة وجمال تعبيره.

وكذلك قول كعب بن مالك رضي الله عنه [٣٥]: الطويل

شَهِدْنا بأَنَّ الله لا رَبَّ غيره وأنَّ رسولَ اللهِ بالحقِّ ظَاهِرُ
وقد عُرِّيَتْ بيضٌ خِفَافٌ كأَنَّها مَقابيسُ يُزْهِيهَا لِعَيْنَيْكَ شَاهِرُ

فهو رضي الله عنه أوضح أهمَّ معالم الهداية ومجالدة الكفَّار بألفاظ سهلة سلسة بعيدة كلَّ البعد عن الغموض، أو التعقيد، مع الحفاظ على جمال اللغة الشعريَّة، فأتى شعره هذا يجمع بين السهولة، والشاعريَّة فمن تلقَّاها فهمها على وجهها الصحيح، ولم يلتبس عليه المعنى، وفي الوقت نفسه تلتذُّ نفسه بجمال تعابيره، وقوَّة ألفاظه.

ومنه قول عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ رضي الله عنه [٣٦]: الكامل

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا هَلكَ الأَنيسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
إنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
أَودَى الضِّمارُ وكان يُعبَدُ مرَّةً قَبلَ الكتابِ إِلَى النَّبيِّ مُحَمَّدِ

أراد أن يوصل ما يجول في خاطره من مشاعر تجاه الإسلام والنبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم فهو لم يتصنَّع هذه المشاعر، وإنَّما عبَّر عنها بألفاظ واضحة صريحة لا غموض فيها، بل هي تصل إلى المتلقِّي بكلِّ يسر وسهولة.

وهذه السهولة لم تجعل اللفظ مبتذلا، أو يؤثر الشاعر اللفظ على المعنى ممَّا يوقعه في التعقيد أو الخشونة أو الهجنة أو التكلُّف فإنَّما يقع في هذه الأشياء من كان همُّه إيثار اللفظ على حساب المعنى(٣٧)، كما أنَّه لم يؤثر المعنى على حساب اللفظ، بل هما يسيران في خطَّين متوازيين يكمِّل أحدهما الآخر، اللفظ السليم والمعنى الجيِّد يتلازمان ولا يتعارضان إن أحسن الشاعر أو المبدع استعمالهما ولم يرجِّح كفَّة على أخرى.

ثانيا: جمال التعبير:

إنَّ استعمال اللغة استعمالا يستدعي لفت الانتباه إلى المادة اللفظية بطريق انتزاعها من حال كونها مجرد دلائل – أي علامات وآثار وقرائن وأعراض – على شيء آخر غير لغويّ أي الأفكار والمواقف والأغراض، والأوامر أو النواهي، وهذه الحالة تضيف للغة مع وظيفة نقل المعلومات وظيفة أخرى وهي الوظيفة الجماليَّة التي تتمثَّل بجمال التعبير وسلامة اللفظ، فالأديب العبقريّ هو الذي يستطيع أن يجانس ويوائم بين أسلوبه وأفكاره، ويربط بينهما ربطا محكما، فضلا عن دقَّة اختيار الكلمة لأداء المعنى الذي يريده؛ لأنَّ بعض الكلمات أدلُّ على المعنى من غيرها (٣٨)، وهذا ما سنتناوله فيما يأتي بإذن الله تعالى:

عمد الشعراء إلى الجمع بين وظيفتي اللغة الشعريَّة وهو نقل المعلومات، والجمال الإبداعيّ، كما في قول قال حسَّان بن ثابت رضي الله عنه (٣٩): البسيط

إِنَّ الذَوائِبَ مِن فِهرٍ وَإِخوَتِهِم قَد بَيَّنوا سُنَّةً لِلناسِ تُتَّبَعُ (٤٠)

يَرضى بِها كُلُّ مَن كانَت سَريرَتُهُ تَقوى الإِلَهِ وَبِالأَمرِ الَّذي شَرَعوا

فهو هنا يمدح المؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار بما هم عليه من الإيمان والدعوة إلى الإسلام، فقال عن المهاجرين "الذوائب من فهر" فأتى بهذا التعبير الجميل الذي ينبئ عن مكانتهم ورفعتهم في قريش؛ لأنَّ فهرا هو جدُّهم والذوائب هم السادة الأفاضل، فأراد أنَّ المؤمنين هم سادة أفاضل من قريش التي هي أكرم العرب، فالمؤمنون هم السادة الأفاضل من أكرم الناس، ثمَّ عبَّر عن الأنصار بقوله "إخوتهم" فجاء بهذا التعبير الذي ينبئ عن مكانة رفيعة للأنصار رضي الله عنهم، فهم إخوة للمهاجرين، وهذه الكلمة بكلِّ ما تدلُّ عليه من إخوَّة في الدين، وإخوَّة في المكانة والرفعة والكرم، وبهذا التعبير الجميل قد ارتقى هذا الشعر، ونال مكانة رفيعة.

وقال أيضا رضي الله عنه [٤١]: الطويل

وكُنّا مُلوكَ الناسِ قَبلَ مُحَمَّدٍ فَلَمّا أَتى الإِسلامُ كانَ لَنا الفَضلُ
وَأَكرَمَنا اللهُ الَّذي لَيسَ غَيرَهُ إِلَهٌ بِأَيّامٍ مَضَت ما لَها شَكلُ
بِنَصرِ الإِلَهِ وَالنَبِيِّ وَدينِهِ وَأَكرَمَنا بِاسمٍ مَضى ما لَهُ مِثلُ

فهو هنا رضي الله عنه يفتخر بما كانوا علي قبل الإسلام، وبما هم عليه في الإسلام، فقد كانوا ملوكا قبل الإسلام، وفي الإسلام زادوا رفعة وفضلا بما أكرمهم الله به بتبوئهم منزلة عليا فوق منزلتهم السابقة بأن صاروا أنصارا للنبيّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم وحماة لدين الإسلام، فاستطاع أن يوظّف الألفاظ من خلال ضمٍّ بعضها إلى بعض، ونجح في رسم صورة جميلة لمسيرة قومه في الجاهليَّة وفي الإسلام.

وكذلك قول وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى أَيْضًا حِينَ أَسْلَمَ [٤٢]: الكامل

وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ حَقٌّ وَأَنَّكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمُ
وَاَللهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفًى مُسْتَقْبَلٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمُ
قَرْمٌ عَلَا بُنْيَانَهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرْعٌ تَمَكَّنَ فِي الذُّرَا وَأُرُومُ

فهو هنا رضي الله عنه يعلن هدايته للإسلام بشهادته بصدق الدين الذي يدعو إليه رسول الله محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم، ثمَّ يمدحه عليه الصلاة والسلام بما هو فيه من عظيم الخصال، وكرم الأصل، وقد جاء هذا كلُّه بتعبير رائق جميل، كأنَّ الشاعر يصهر الكلمات في قالب تصويريّ رسم فيه صورة تستهوي القلوب والأنفس.

وإذا حدث أنَّ الشاعر لم تسلم ألفاظه من عوج في المعنى فسرعان ما يوجَّه إليه النقد حتَّى يأتي بالألفاظ السليمة، أو يعتذر عمَّا صدر منه، كما حدث لكعب بن زهير بن أبي سُلمى رضي الله عنه عندما قال في مدح المهاجرين معرِّضا بالأنصار رضي الله عنهم جميعا [٤٣]: البسيط

شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالُ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ [٤٤]
بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ [٤٥]
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ [٤٦]

فهو رضي الله عنه قد ابتعد في البيت الثالث عن جمال التعبير، ودقَّة اختيار اللفظ المناسب والملائم في قوله: « إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ » يعرّض بالأنصار، لغلظتهم عليه [٤٧]،

فأصاب أبياته بالهجنة والتكلُّف الممقوت الذي يفسد اللفظ ويبهم المعنى [٤٨] ويشتِّته؛ لذلك أنكر المهاجرون عليه وقالوا: لم تمدحنا إذ هجوتهم [٤٩]، فقال رضي الله عنه يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ معتذرا [٥٠]، قَصِيدَةٍ منها [٥١]: الكامل

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ ... فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ [٥٢]

وَهُمُ إِذَا خَافُوا وَعَى وَتَنَجَّزُوا ... مَا وَعَّدُوا إِنَّهُمْ لَمَلَاقِينَ ثَارِي [٥٣]

وَرِثُوا السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ... الْخَيِّرُونَ هُلُوَ بُنُومُ الْأَخْيَارِ [٥٤]

فهو قد عاد ليصحِّح الخلل الذي أصاب قوله السابق " السود التنابيل " فقال هذه الأبيات مدحا لهم وبيانا لشرفهم ومنزلتهم وما هم عليه من الكرم والقرْي والسيادة، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ حَيْنَ أَنْشَدَهُ: "بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ": (لَوْلَا دَكَرْتُ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ، فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ)، فقال هذه القصيدة [٥٥]، وهذا يدلُّ على أنَّ الشاعر أدرك هفوته فيما أصاب المعنى الأوَّل بالهجنة فتدارك الموقف وصحَّح المعنى في هذه القصيدة؛ ليكون التعبير جميلا واللفظ سليما.

وخلاصة القول: أنَّ فاللغة الشعريَّة هي روح الشعر وقوامه وقلبه النابض؛ لذلك نجدها قد نالت هذه العناية الكبيرة في الدقَّة والوضوح والسهولة والسلامة في الألفاظ والتركيب؛ لأنَّ أيَّ خلل في ذلك يظهر أثره واضحا جليًّا في ضعف الشعريَّة، وفساد البناء الشعريّ؛ للك حرص الشعراء والنقَّاد على حدٍّ سواء على سلامة اللغة الشعريَّة وخلوِّها من أيّ خلل.

الخاتمة

هذه نعمة من الله وفضل أن أنعم علينا بإنجاز هذا البحث "شعر الهداية اسلوبيًّا ونقديًّا "فما كان علينا بعد ذلك إلا أن نسجّل أهمّ ما توصّلَتْ إليه الدراسة من نتائج وهي:

- ابتعد شعر الهداية في عصر صدر الإسلام عن التهويل والمبالغة المفرطة والغلوِّ، فالمبالغة محمودة ما لم تخرج إلى حدِّ الإغراق والغلوّ.
- أمر الإسلام بالصدق في كلِّ جوانب الحياة، فجاء أثر هذا التشريع واضحا في أدب الشاعر المسلم وشعره.
- اهتمَّ شعر الهداية في عصر صدر الإسلام بتصوير الواقع الذي مرَّت به الدعوة، وما لاقاه رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله سلَّم ونقله لنا بدقَّة وأمانة، ولم يؤثِّر شعراؤه في نقله متطلَّبات الشاعر الفنِّيَّة من المبالغة، والاستعارة وغيرها؛ لأنَّ القصد من هذا الغرض الشعريّ لا يحتاجها بقدر ما يحتاج إلى نقل الواقع وتصويره بأمانة ودقَّة متناهية.
- جاءت اللغة الشعريَّة في شعر الهداية في عصر صدر الإسلام سليمة، فلا تعقيد فيها ولا غموض، ولم يجرِ شعراؤه وراء الحوشي أو الشاذِّ، وإنَّما أتت ألفاظه بقدر المعاني على جانب كبير من الوضوح الأمر الذي يجعله معلوما مفهوما لدى الجميع.
- اتَّسم شعر الهداية في عصر صدر الإسلام بجمال الأسلوب ونقائه في علاقة تكامليَّة بين الألفاظ والمعاني من غير إيثار أحدهما على الآخر، بل يكمل أحدهما الآخر.
- التشديد على تنقية الشعر من الغموض، وفساد التركيب، والتأكيد على سلامة السياق اللغويّ، فإن حدث للشاعر عوج في المعنى، أو غموض، فسرعان ما يوجَّه إليه النقد حتَّى يأتي بالألفاظ السليمة، ليسلم له بناء اللغة الشعريَّة، وينجح في شاعريَّته.

وفي الختام نسأل الله ربَّنا جلّ وعلا أن يتقبّل منَّا، ويوفِّقنا في ما أردنا، ويزيدنا من فضله، وما كان من صواب فيما قدَّمنا فمن الله تعالى وحده وله الحمد والمنَّة والنعمة والفضل، وما كان من خطأ فمن نفسينا ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان، وصلَّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله وخليله محمّد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان وأهل السنّة إلى يوم الدين. وسبحانك اللهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

هوامش البحث ومصادره

(١) ينظر: السان العرب، مادَّة (هدى): ١٥ / ٣٥٣ ، وتاج العروس، مادَّة (هدى): ٤٠ / ٢٨٢ ، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفَّى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنا، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ مـ: ١ / ٦٨ ، واللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبليّ الدمشقي النعماني (المتوفَّى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ مـ: ١ / ٢٠٤ .

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٤٢٠ .

(٣) جنَّه: ستره. والغسق: الظلمَة، يعْنى ظلمَة الْغُبَار ، و معتنق: أَسِير. والْعتْق بِوَزْن عنق: جمع عَتيق، وَهُوَ النفيس. ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٤٢٠ .

(٤) ديوانه: ٢٠١ .

(٥) سورة البقرة: ٢٨٥ .

(٦) ديوانه: ٢٥٣ – ٢٥٤ . وتنسب لسيدينا علي بن ابي طالب وكعب بن مالك رضي الله عنهما مع نقص في الأبيات واختلاف طفيف في بعض الكلمات.

(٧) سورة البيِّنة: ٧ .

(٨) ينظر: عن اللغة والأدب والنقد: ٣١٤ .

(٩) ينظر: النقد الأدبيُّ للصفِّ السادس الإعداديّ، تأليف: د. علي جواد الطاهر، و د. عناد غزوان إسماعيل، الجمهوريَّة العراقيَّة – وزارة التربية، دار الحرِّيَّة للطباعة - بغداد الطبعة الأولى، عام: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ مـ: ٦٥ .

(١٠) ينظر: مقال: الأدب الإسلامي وحاجته في الأدب العربي المعاصر، د. السيدة مسرت جمال، الأستاذة المساعدة بقسم اللغة العربية، جامعة بشاور – باكستان، مقال منشور في الشابكة.

(١١) ديوانه: ٢٨٥ – ٢٨٦ ، وتروى لأبي قيس صرمة بن أبي أنس رضي الله عنه مع اختلاف في بعض الألفاظ، وزيادة أبيات. ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ١ / ٥١٢ .

(١٢) ثوى: أَقَامَ. ومواتيا: مُوَافقا. ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ١ / ٥١٢ . وفي رواية ابن الشجريّ: لو ألفى صديقاً موافيا. الأمالي الشجريّة:

(١٣) السيرة النبوية، ابن هشام: ١ / ٥١٢ . وروى الشجريّ ستَّة أبيات منها مع اختلاف في بعض الألفاظ. وفي الحماسة المغربيَّة ستَّة أبيات منها أيضا. وفي مرآة الجنان سبعة أبيات منها.

(١٤) رواية ابن الشجريّ: ويعلم أن الله لا شيء غيره *** وأن كتاب الله أصبح هاديا. الأمالي الشجريّة:

(١٥) حنانيك: أَي تحننا بعد تَحَنن، والتحنن: الرأفة وَالرَّحْمَة. ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ١ / ٥١٢ .

(١٦) ديوانه: ٥٤ ، ١٠١ .

(١٧) سورة التوبة: ٢٠ – ٢٢ .

(١٨) ديوانه: ٥٤ – ٥٥ ، ١٠١ .

(١٩) سورة الفاتحة: ٥ – ٦ .

(٢٠) السيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٤٩١ .

(٢١) عرَّدَت أنيابها: قويت واشتدت. والسمهري: الرمْح. والمهند: السَّيْف. ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٤٩١ .

(٢٢) الهباءة: الْغُبَار يثور عِنْد اشتداد الْحَرْب. والخادر: الْأسد فِي عرينه، وَهُوَ حِينَئِذٍ أَشدُّ مَا يكون بَأْسا لخوفه على أشباله، يصفه بِالْقُوَّةِ. والمرصد: الْمَكَان يرقب مِنْهُ، يصفه باليقظة. ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٤٩١ .

(٢٣) ينظر: الأسلوب – دراسة بلاغيَّة تحليليَّة، أحمد الشايب: ١٧٨ .

(٢٤) شعر عبد الله بن الزبعرى، يحيى الجبوري: ١٨ .

(٢٥) الراتق: الساد، تَقول: رتقت الشَّيْء، إِذا سددته. وفتقت: يعْنى فِي الدَّين، فَكل إِثْم فتق وتمزيق، وكل تَوْبَة رتق. وَمن أجل ذَلِك قيل للتَّوْبَة نصوح، من نصحت الثَّوْب إِذا خطته، والنصاح: الْخَيط. وبور: هَالك. يُقَال: رجل بور وبائر، وَقوم بور. ينظر: شعره: ١٨ ، والسيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٤١٩.

(٢٦) أبارى: أجارى وأعارض. وَالسّنَن بِالتَّحْرِيكِ: وسط الطَّرِيق. ومثبور: هَالك. ينظر: : شعره: ١٨ ، والسيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٤١٩.

(٢٧) الأسلوب – دراسة بلاغيَّة تحليليَّة: ١٨٣ .

(٢٨) شرح ديوانه: ٧٦ .

(٢٩) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ١ / ٤٧٣ . ونسب الرواية إلى الحاكم ولم أجدها عند الحاكم، كما لم أجدها في مصادر الحديث والسنَّة في المكتبة الشاملة.

(٣٠) ينظر: النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلافة الراشدة: ٢٧٧.

(٣١) الأسلوب – دراسة بلاغيَّة تحليليَّة: ١٨٠ .

(٣٢) ديوانه: ٧١ .

(٣٣) وردت هذه القصة بألفاظ متقاربة في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي المتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ) ، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: ٥، عام: ١٤٠١هـ - ١٩٨١ مـ: ١٣ / ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ودلائل النبوة، الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، ط: ١، عام : ١٤٠٥هـ: ٦ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وأسد الغابة: ١ / ١٠٥٣ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، و الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَرّ النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: ١، عام: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ مـ: ١ / ٤٧٨ - ٤٨٠ ، ٢ / ٦٠ ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١ / ٥٣.

(٣٤) ديوانه: ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٣٥) ديوانه: ٢٠٠ .

(٣٦) ديوانه: ٢١ .

(٣٧) ينظر: الأسلوب – دراسة بلاغيَّة تحليليَّة: ١٦٧ .

(٣٨) ينظر: الأسلوب والأسلوبيَّة: ١٠٩ - ١١٦ .

(٣٩) ديوانه: ١٥٥ – ١٥٧ .

(٤٠) الذوائب: السادة الأفاضل. ينظر: ديوانه: ١٥٥ .

(٤١) ديوان حسان بن ثابت: ٢٠٥ .

(٤٢) شعره: ٣٥ .

(٤٣) شرح ديوانه: ٧٦ - ٧٧ .

(٤٤) شم، جمع أَشمّ، وَهُوَ الّذي فِي قَصَبَة أَنفه علو، مَعَ اسْتِوَاء أَعْلَاهُ. والعرانين: جمع عرنين، وَهُوَ الْأنف. وَصفهم بِهَذَا الْوَصْف إِمَّا على الْحَقِيقَة لِأَن ارْتِفَاع الْأَنفس من الصِّفَات المحمودة فِي خلق الْإِنْسَان، وَإِمَّا على الْمجَاز، يُرِيد ارْتِفَاع أقدارهم، وعلو شَأْنهمْ. واللبوس: مَا يلبس من السِّلَاح. ونسج دَاوُد: أَي منسوجه، وَهُوَ الدروع والهيجا "بِالْقصرِ هُنَا": الْحَرْب. والسرابيل: جمع سربال، وَهُوَ الْقَمِيص أَو الدرْع. ووصفها بِأَنَّهَا من نسج دَاوُد دَلِيل على مناعتها. ينظر: شرح ديوانه: ٧٦ ، والسيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٥١٣ .

(٤٥) بيض: مجلوة صَافِيَة مصقولة، لِأَن الْحَدِيد إِذا اسْتعْمل لم يركبه الصدأ. والسوابغ: الطوَال السوابل، وَيلْزم من طول الدروع قُوَّة لابسيها، إِذْ حملهَا مَعَ طولهَا يدل على الْقُوَّة والشدة. وَشَكتْ: أَدخل بَعْضهَا فِي بعض، ويروى: "سكت "بِمَعْنى ضيقت. والقفعاء: ضرب من الحسك، وَهُوَ نَبَات لَهُ شوك ينبسط

على وَجه الأَرْض، تشبه بِهِ حلق الدروع. ومجدول: مُحكم الصَّنْعَة. ينظر: شرح ديوانه: ٧٧ ، والسيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٥١٣ .

(٤٦) الزهر: الْبيض. يصفهم بامتداد الْقَامَة، وَعظم الْخلق، والرّفق فِي الْمَشْي، وَبَيَاض الْبشرَة، وَذَلِكَ دَلِيل على الْوَقار والسؤدد. ويعصمهم: يمنعهُم. وعرد: فر وَأعْرض عَن قرنه وهرب عَنهُ.

والتنابيل: جمع تنبال، وَهُوَ الْقصير. ينظر: شرح ديوانه: ٧٧ ، والسيرة النبوية، ابن هشام: ٢ / ٥١٣ .

(٤٧) ينظر: الشعر والشعراء: ١ / ١٥٤ ، والسيرة النبويَّة، ابن هشام: ٢ / ٥١٥ .

(٤٨) ينظر: الأسلوب – دراسة بلاغيَّة تحليليَّة: ١٦٧ .

(٤٩) ينظر: الشعر والشعراء: ١ / ١٥٤ ، والسيرة النبويَّة، ابن هشام: ٢ / ٥١٥ .

(٥٠) ينظر: الشعر والشعراء: ١ / ١٥٤ ، والسيرة النبويَّة، ابن هشام: ٢ / ٥١٥ .

(٥١) شرح ديوانه: ٣٣ – ٣٥ .

(٥٢) المقنب: الْجَمَاعَة من الفرسان والْخَيل. يُرِيد بِهِ الْقَوْم على ظُهُور جيادهم. ينظر: شرح ديوانه: ٣٣ .

(٥٣) خوت النُّجُوم: أَي سَقَطت وَلم تمطر فِي نوئها. والمقاري: جمع مقراة، وَهِي الْجَفْنَة الَّتِي يصنع فِيهَا الطَّعَام للأضياف. يُرِيد أَنهم إِذا انحبس الْمَطَر، وَاشْتَدَّ الزَّمَان، وَعمَّ الْقَحْط، يكونُونَ أَصْحَاب قصاع لقرى للأضياف الَّذين يطرقونهم، وينزلون بهَا. ينظر: شرح ديوانه: ٣٣ .

(٥٤) الكابر: الكبير، والرفيع الشأن والشريف. ينظر: شرح ديوانه: ٣٣ .

(٥٥) السيرة النبويَّة، ابن هشام: ٢ / ٥١٥ .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأدب الإسلامي وحاجته في الأدب العربي المعاصر، د. السيدة مسرت جمال، الأستاذة المساعدة بقسم اللغة العربية، جامعة بشاور – باكستان، مقال منشور في الشابكة.

٣- الأسلوب - دراسة بلاغيَّة تحليليَّة، أحمد الشايب.

٤- الأسلوبية والأسلوب (نحو بديل ألسني في نقد الأدب)، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب ، تونس، ط:٢ ، عام: ١٩٨٢ مـ .

٥- الأمالي الشجريَّة

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د. ت.

٧- ديوان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط: ٣ ، عام: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ مـ .

٨- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ ، تحقيق: عبد الله سنده، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط: ٢ ، عام : ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ مـ .

٩- ديوان العبّاس بن مرداس السلميّ، جمعه وحقّقه الدكتور يحيى الجبوريّ أُستاذ بجامعة قطر، مؤسَّسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام: ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ مـ.

١٠- ديوان كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، دراسة وتحقيق: أ. د. سامي مكي العاني، ساعدت جامعة بغداد على نشره، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط١، مطبعة المعارف ، عام: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ مـ .

١١- ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: د. واضح الصمد ، دار صادر، بيروت، ط: ١ ، عام : ١٩٩٨ مـ.

١٢- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفَّى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، عام: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ مـ.

١٣- النقد الأدبي ومقاييسه خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلافة الراشدة، محمد عارف محمود حسين، - بحث منشور في - مجلَّة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الخامسة عشرة. العدد الثامن والخمسون، ربيع الأخر - جمادى الأولى - جمادى الأخرة، عام: ١٤٠٣هـ.

١٤- السيرة النبوية، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ مـ .

١٥- شرح ديوان كعب بن زهير، شرح وتعليق: د. محمَّد عليّ سلامة، أُستاذ النقد الأدبيِّ – جامعة حلوان، ضبط وتدقيق: د. فتحيّ عبد اللطيف، دار الصحوة للنشر

١٦- شعر عبدالله بن الزِّبَعرَى، شرح وجمع الدكتور يحيى عبدالله الجبوريّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، عام: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ مـ.

١٧- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفَّى: ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، عام: ١٤٢٣ هـ.

١٨- عن اللغة والأدب والنقد، د. محمد أحمد العزب، طبع المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت - لبنان.

١٩- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبليّ الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ١، عام: ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ مـ.

٢٠- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ المصريّ (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط:٣، عام: ١٤١٤ هـ.

٢١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفَّى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤مـ.

٢٢- النقد الأدبيُّ للصفِّ السادس الإعداديّ، تأليف: د. علي جواد الطاهر، و د. عناد غزوان إسماعيل، الجمهوريَّة العراقيَّة – وزارة التربية، دار الحرِّيَّة للطباعة - بغداد الطبعة الأولى، عام: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩مـ.